إرجوزة السيد خليل البصير

— ١ —

نزاع الصفويين والعثمانيين

سعيد الديوه جي

كان الصفويون [١] والعثمانيون [٢] يتنازعون سلطة العراق منذ القرن العاشر للهجرة ، وقعت بينهما حروب كثيرة ، ومن أشدها هي التي قام بها نادر شاه سنة ١١٥٦ ، بعد ان استأثر بالملك .

ونادر شاه هذا من رجال عصره في السياسة والحرب ، وتعبئة الجيوش ، وأحكام الخطط الحربية . وأخضع أكثر البلاد المجاورة لايران .

---

(١) الدولة الصفوية : أسسها اسماعيل الصفوي سنة ٩٠٧ هـ ، ثم قضى عليها نادر شاه سنة ١١٤٤ هـ بعد ان عزل طهماسب الثاني ، وتولى الحكم بنفسه ، وانتقل الحكم الى الأسرة الافشارية .

معجم الأنساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي ـ زامباور ـ مصر سنة ١٩٦١م (١ : ٣٨٨ـ٣٨٩).

(٢) الدولة العثمانية : نسبة الى عثمان الاول بن ساوجي بن ارطغرل). وهي من أعظم الدول الاسلامية التي قامت في القرون الوسطى (٦٩٩ـ١٣٣٨ هـ) فبعد ان استولت على الاناضول ، توسعت فتوحاتها في اكثر البلاد العربية ، وفي القسم الشرقي من اوربا . وقضى عليها مصطفى كمال أتاتورك سنة ١٣٣٨ هـ = ١٩٢٠م باعلان الجمهورية التركية .

مختصر تاريخ الدول الاسلامية ـ عمر رضا كحالة ، دمشق ١٩٥٨ (٢ : ٢٠٧ ـ ٢٤٠) .

وفي سنة ١١٥٦ هـ (١٧٤٣ م) توجه الى العراق ، ودانت له أكثر البلاد ، رهبة من جيوشه الجرارة ، الكثيرة العدد والعُدد .

وبعد ان أخضع كركوك وأربل ، استمر بزحفه الى الموصل ، وفتك بالقرى التي مر بها في طريقه ، كما أرسل سراياه الى بعض أقضية الموصل ، فقتل الرجال وأسر النساء والأطفال ، وأحرق الزروع ، ونهب كل ما يستفاد منه

أرسل رسلاً الى الموصل [١] ومعهم كتاب [٢] ، يتوعد به أهل البلد بالقتل والتدمير ، ويضرب لهم الأمثال بما فعله بالبلادالتي وقفت بوجهه ، وينصحهم أن يفتحوا له أبواب البلد ، ويخرجوا إليه طائعين .

جمع والي الموصل « الحاج حسين باشا الجليلي [٣] » أهل المدينة ظاهر البلد ، قرب الجامع الأحمر [٤] — الجامع المجاهدي — وقرأ عليهم الكتاب ، وطلب اليهم أن يشيروا بما يرونه من الأمر .

وأهل الموصل ، أصحاب أنفة عربية ، معروفون بتكاتفهم في الدفاع عن كرامة بلدهم

---

(١) كان الوفد من قاضي كركوك حسن افندي الكركوكلي ، وهو الذي سلم كركوك لنادرشاه مع ابن بداغ ، وكان معه من أعيان كركوك محمد افندي ومصطفى اغا (ملحمة الموصل : ٢٨ ، منية الأدباء : ١٨٠) .

(٢) كان الكتاب من رئس علماء ايران ملا باشي علي اكبر ، الى السيد يحي افندي الفخري مفتي الموصل ، وكتب جوابه السيد يحي افندى على لسان أهل البلد ، والكتابان منشوران في تاريخ الموصل للصائغ (١ : ٢٨٠ ـ ٢٨٤) نقلا عن منهل الاولياء .

(٣) أشهر الولاة الذين تولوا الموصل في القرن الثاني عشر للهجرة . تولاها سنة ١١٤٣ هـ ثم تنقل في الولايات وأعيد اليها ثماني مرات وتوفى سنة ١١٧٤ هـ — وله مواقف جليلة خاصة في ثباته أمام غزو نادر شاه . (منية الادباء : ٨٣ ، ٨٤ ، ٢٧٠ — ٢٠٩) .

(٤) بناه مجاهد الدين قيماز الرومي ، باشر بعمارته سنة ٥٧٢ هـ . وانتهى منه سنة ٥٧٥ هـ ، وسمي في السنوات المتأخرة بالجامع الاحمر ، كما يسمى بجامع الخضر ، لاعتقاد العامة أن فيه مقاماً للخضر .

(جوامع الموصل في مختلف العصور ، سعيد الديوه جي — بغداد ١٩٦٣ . (ص : ٥٥ — ٧٢) .

وعروبتهم — ولذا فانهم أصروا على الدفاع عن بلدهم ، ولو أدى هذا الى الموت ، وصاحوا صيحة رجل واحد : الحرب .. الحرب ..

سمع الرسل ما قاله أهل البلد ، كما ان الحاج حسين باشا الجليلي كتب جواباً لنادر شاه ، تحذره وينصحه من ان يتورط في التقدم الى أم الربيعين ، ويعلمه ان عَدَد وعُدَده لا تقوى أمام شجاعة أهلها ، وانهم قد عاهدوا الله على أن يموتوا في الدفاع عن بلدهم وعروبتهم .

غضب نادر شاه واستمر بزحفه على البلد ، ونزل قرب قرية يارمجة [1] في ٢١/ رجب / ١١٥٦ هـ = ١١/ ايلول/ ١٧٤٣ . وأمر بنصب جسر على دجلة ، وتم نصبه بعد خمسة أيام .

وفي غرة شعبان عبرت جيوشه على الجسر، وأحاطت بالبلد ، وأخذ ينظم خطة الهجوم، فنصب مدافعه على تلال أقاموها مقابل أبراج سور المدينة .

أما أهل البلد فانهم هبوا الى تعمير ما انهدم من السور [2] ، وحفروا الخندق ، واشتغل كل القادرين على العمل في تهيئة وسائل الدفاع ، من مدافع وبنادق وبارود وخناجر وسيوف ، ولوازم البناء والحفر ، وتموين المحاربين ، ونقلوا من القرى ما استطاعوا من الغلال ، وما تحتاجه الخيول من العلف ، وأحرقوا ما لم يتيسر لهم نقله .

واتخذ الحاج حسين باشا الجليلي قلعة باش طابية [3] مقراً لأعماله ، يشرف منها على خطة الدفاع ، ويتولى مع أقاربه حراسة ما ينثلم من السور ، الى أن يتم بناءه ثانية .

وخفت مدينة حلب لنصرة الموصل ، فجاء واليها حسين باشا القازوقجي [4] مع جيش

---

(١) تقع في الجانب الشرقي من الموصل ، تبعد عنها جنوباً قرابة عشر كيلو مترات .

(٢) أنظر عن سور الموصل (سومر : ٣ : ١١٧ — ١٢٨) .

(٣) قلعة باش طابية ، تقع شمال المدينة ، تشرف على دجلة ، والمنابع الكبريتية عين كبريت ، كما تطل على السهل الشمالي الذي يظاهر الموصل ، وهي بقايا القلعة الاتابكية ، وفيها اكبر برج كان في سور الموصل . أنظر (سومر : ١٠ : ١٠٠ — ١٠٥) فيها بحث عن قلعة الموصل في مختلف العصور .

(٤) منية الادباء (ص : ٢٤٩) .

من أبناء الشهباء ، ودخلوا المدينه قبل أن يشتد الحصار .

وفي ٦ / شعبان كان أهل المدينة قد ملؤوا السور بالرجال والمدافع والعتاد . وفي صباح هذا اليوم أخذ نادر شاه يمطر المدينة بوابل من القنابل ، ويقدر المؤرخون الذين شهدوا الواقعة أن عدد القنابل التي القيت على المدينة ، تزيد على خمسين الف [١] . وكانت تزيد من حماس أهل البلد ، فصاروا يقدمون على الموت ، ويهجمون على كل من يتقدم الى السور .

استمر نادر شاه في ضرب المدينة الى منتصف شعبان ، والموصل صامدة أمام جيشه ، غير مبالية بما احدثته القنابل من التخريب والتدمير .

عبر نادر شاه الى جهة الموصل ، وطاف حول البلد ، وتفقد المعركة بنفسه ، فهاله ما وجده من بسالة أهل الموصل . وبطولتهم في الدفاع عن بلدهم العربي الأبي .

عزم نادر شاه على مهاجمة البلد من امنع مواقعها ، فاختار خمسة آلاف مقاتل من جيشه ، وأعد الف سلم ، وحفر ثلاثة الغام في سور المدينة : أحدها شمال المدينة ، واثنان مقابل مسجد الشيخ قضيب البان الموصلي [٢] . وملأ الألغام بالبارود لكي ينسف السور ، ووضع قرب الألغام تبناً كثيراً — وهكذا تم له تدبير خطته .

وفي صباح يوم ١٥ / شعبان = ٥ / تشرين الأول كانت أقوى معركة بين جيشه وأهل

---

(١١) لم تزل بقاياها كثيرة في الموصل . ونجدها في اكثر دور المدينة ، يتخذونها سنداً للباب اذا ما فتح . ولعل المواصلة احتفظوا بها في دورهم ، لتذكرهم بثباتهم وبسالتهم امام القنابل ، وصمودهم امام العدو ، حتى انقذوا بلدهم ودحروا عدوهم .

(١٢) أبو عبد الله الحسين بن عيسى الموصلي (٤٧١ — ٥٧٣ هـ) مرقده ظاهر المدينة في الجهة الغربية منها وفي سنة ١٣٧٧ هـ هدمته مديرية الاوقاف العامة ، ووسعته وبنته جامعاً يجمع به ، عرف بجامع قضيب البان .

(سومر : ٨ : ٩٩ — ١٠٦) (جوامع الموصل في مختلف العصور سعيد الديوه جي ، بغداد سنة ١٩٦٣ (ص : ٢٦٠ - ٢٦٩) .

الموصل . فانه أمر باشعال النار في الألغام وأحرق التبن ، وتقدم خمسة آلاف من جيشه مع السلالم ليرتقوا الى السور ، وسط دخان التبن ، ويفتكوا بالجيش المدافع .

فاحترق أحد الألغام وعاد شره على جيشه ، ولم يحترق اللغمان الآخران . ولما وصل جيشه السور ، وجدوا أهل البلد لهم بالمرصاد ، فهجموا عليهم يقطعون رؤوسهم ويرمونها عليهم ، وبعد أن فتكوا بأصحاب السلالم نزلوا من السور ، وطاردوا من سلم منهم ، ووصلوا في هجومهم إلى جيش نادرشاه ، والقوا الرعب والفزع في قلوبهم . وغنموا أشياء كثيرة ، وعادوا الى محلاتهم يجرون أذيال العزة والانتصار .

يئس نادرشاه من الموصل ، وصار يفكر في خطة التراجع عنها ، وأخذ يفاوض أهل الموصل بالصلح . فأرسل وفداً إلى الحاج حسين باشا [1] يعرض عليه الصلح ، ويشيد بموقف أهل البلد المشرف في الدفاع عن بلدهم العزيز ، فعرض الوالي هذا على أهل البلد ، فوافقوا بعد امتناع .

وفي / ٤ / رمضان / أخذ نادرشاه يقوض خيامه ، ويلم ما سلم من عتاده ، وعاد من حيث أتى ، تاركاً آلاف القتلى والجرحى من جيشه ، وبقيت عظامهم اكثر من سنة .

كان هذا الحادث من العوامل الكبيرة في تيقظ العرب ، وجعلهم يشعرون بقوتهم اذا ما تكاتفوا ، وايمانهم الصادق بعروبتهم التي يدافعون عنها . وترددت اصداؤه في البلاد العربية ، فنظم الشعراء القصائد والارجوزات منوهة ببطولة ام الربيعين ، وترنم المغنون بالأناشيد والأغاني الحماسية ، وكتب المؤرخون فصولاً طوالاً — لو جمع هذا كله لكان صفحة رائعة من صفحات الوعي القومي التي يفخر بها أبناء العروبة [2] ، ويحق لهم أن

---

(١) ملحمة الموصل (ص : ٢٤) .

(٢) جمعنا في كتاب منية الادباء ما عثرنا عليه من أخبار المعركة ، ونشرنا : ملحق رقم (١٣) ويقع من (ص : ٢٢٣ — ٢٢٩) من الكتاب المذكور واعدنا طبع ارجوزة السيد فتح الله القادري، بعد ان عثرنا على عدة نسخ منها . ونشرناها باسم (ملحمة الموصل) طبعت ببغداد سنة ١٩٦٥ م .

يتخذوا يوم / ٤ / رمضان من كل سنة عيداً قومياً يذكرهم ببطولتهم وصمودهم أمام العدو.
ومن أجمل ما قيل في وصف ثبات أهل الموصل وبطولتهم [١] :

ويوم لها الحدباء شاب وليدها فتلقى بها الحبلى الجنين وتندب
تنادي حسيناً والفوارس أسطر وبالسور أقلام المدافع تكتب

— ٢ —

أما الارجوزات والقصائد التي قيلت في هذا الحادث — فقد وقفنا منها على :

١ — السيد خليل البصير بن السيد علي . له ثلاث أرجوزات — سيأتي الكلام عنها :

٢ — ارجوزة السيد عبد الله بن فخرالدين [٢] — كاتب ديوان الانشاء في بغداد . أرسلها من بغداد الى السيد خليل البصير ، جواباً على ارجوزته التي سننشرها .

٣ — ارجوزة السيد عبد الله السويدي المتوفى سنة ١١٧٤ هـ [٣] ، عارض بها أرجوزة السيد خليل البصير ، وعدد أبياتها ١٦٨ بيتاً .

---

(١) للشيخ محمد بن مصطفى الغلامي المتوفى سنة ١١٦٨ هـ . وهو من شعراء عصره ، وصاحب (شمامة العنبر) .

وفي كتاب « العلم السامي في ترجمة الشيخ محمد الغلامي — للاستاذ محمد رؤوف الغلامي ، بحث واسع عنه ، وترجم له كثيرون منهم صاحب منهل الاولياء ، وتاريخ الموصل (٢ : ١٧١ — ١٧٨) .

(٢) من علماء الموصل العاملين ، اشتهر بالكتابة والشعر ، وله آثار جليلة تدل على علمه وفضله توفي سنة ١١٨٨ هـ .

(منهل الاولياء ، منهج الثقاة في تاريخ القضاة — ياسين بن خير الله الخطيب العمري ، تاريخ الموصل : ٢ : ١٧٦ — ١٧٨) .

(٣) عبد الله بن حسين بن مرعي العباسي السويدي ، أخذ عن علماء الموصل وبغداد ، وتفوق في الفقه والجدل ، وأخذ عنه عدة علماء من الموصل وبغداد ، وله مؤلفات ومناظرات ولد سنه ١١٠٤ هـ .

المسك الاذفر في تراجم علماء بغداد في القرن الثاني عشر والثالث عشر ، السيد محمود شكري الالوسي — بغداد ١٣٤٨ هـ = ١٩٣٠ م (ص : ٥٩ — ٦٤) .

٤ — قصيدة خليل خدادة المتوفي سنة ١١٦٣ هـ [١] . وصف بها دفاع اهل الموصل عن مدينتهم ، وينوه بموقف الحاج حسين باشا الجليلي والي الموصل . لم نقف على القصيدة ، وانما ذكر المرادي منها الأبيات التالية :

وذاك من يمن الوزير الذي ... خصصه الله بلطف أعم
قام لنا في حسن تدبيره ... وأرهب الخصم بأعلى الهمم
وجال في عسكره جولة ... فميل الركن له والهدم
ورام منه الصلح عن أنفه ... رغماً ، ولم يدر الصواب الأتم
فقام عنا ـ وهو في غيظه ـ ... يعض حرصاً لكفوف الندم
أبو مراد لم يزل واقفاً ... عنا ، إذا الخطب علينا هجم
فياله من أسد قد حمى ... غابته ، من كل خصم صدم

٥ — ارجوزة باللغة التركية لشاعر اسمه يونس عدد أبياتها ٢٩٩ بيتاً . ولم نقف على ذكر لهذا الشاعر .

٦ — ارجوزة السيد فتح الله القادري المتوفى سنة ١٢٠٤ وهي أطول الارجوزات التي وقفنا عليها ، كما نجد فيها وصفاً دقيقاً للحادث ، وكنا قد نشرناها في كتاب منية الأدباء ، ثم عثرنا على نسخ خطية اخرى، فصححناها ، واعدنا نشرها باسم ملحمة الموصل ، وطبعناها في بغداد سنة ١٩٦٥ .

---

(١) كان شاعراً رقيق الشعر واشتهر بحسن الخط وجودة الكتابة ، وصار يضرب المثل بجودة خطه ، وله حواش ، سافر الى الهند وتوفي بها ، وله شعر ونثر ، ومن أصدقاء السيد خليل البصير — .
(منهل الاولياء ، سلك الدرر — المرادي : ٢ : ١٠٥ — ١٠٦) .

السيد خليل البصير

السيد خليل البصير(*) بن السيد علي بن السيد اسماعيل بن السيد ابراهيم بن السيد داود بن السيد محمد الباهر شمس الدين ـ ومحمد الباهر هو أيضاً والد السيد فخر الدين جد اسرة آل الفخري . ويتصل معهم السيد خليل البصير في الجد الخامس :

وآل الفخري من الأسر العريقة في العلم والأدب ، ولهم منزلة رفيعة عند أهل الموصل قام منهم عدة فقهاء وعلماء وادباء ، خدموا الموصل أجلّ خدمة ، وتركوا آثاراً نفيسة تدل على علمهم وفضلهم .

وخليل البصير ، فقد بصره منذ صغره ، ولكنه كان ذا بصيرة وقادة فبعد أن حفظ

(*) اهم المصادر التي عولنا عليها في ترجمته :

١ — منهل الاولياء ومشرب الاصفياء من سادات الموصل الحدباء محمد امين بن خير الله العمري المتوفى سنة ١٢٠٣ هـ . نسخة منقولة بالفوسفات عن نسخة المؤلف ، وهي في دار الكتب المصرية .

٢ — الروض النضر في تراجم ادباء العصر : عثمان الدفتري بن علي بن مراد العمري المتوفى سنة ١١٨٤ . نسخة منقولة بالفوسفات عن نسخة المجمع العلمي العراقي .

٣ — مجموعة سعد الله باشا الجليلي (١٢٢٥ — ١٢٧٢ هـ) نسخة منها في خزانة الحاج امين بك الجليلي .

٤ — منهج الثقاة في تاريخ القضاة ـ لياسين بن خير الله الخطيب العمري (١١٥٧ ـ ١٢٣٢ هـ) انتهى منه يوم الجمعة ٢٥/ جمادى الآخرة ١٢١١ هـ نسخة منه في خزانة الحاج امين بك الجليلي .

٥ — مجموعة السيد محمد طاهر كتبها سنة ١٢٣٣ هـ وفيها قصائد وكتب مختلفة لشعراء وكتاب من آل الفخري ، وفيها الارجوزة التي سننشرها مع بعض الابيات والقصائد للسيد خليل البصير وهي محفوظة في خزانتنا .

٦ — منية الادباء في تاريخ الموصل الحدباء — لياسين بن خير الله الخطيب العمري حققه ونشره كاتب المقال « سعيد الديوه جي » طبع في الموصل سنة ١٣٧٤ هـ — ١٩٥٥ م .

٧ — سلك الدور في اعيان القرن الثاني عشر . ابو الفضل محمد بن خليل المرادي .

٨ — شعراء بغداد وكتابها في ايام وزارة المرحوم داود باشا والي بغداد في حدود سنة ١٢٠٠ — ١٢٤٦ هـ ، عبدالقادر افندي الخطيبي الشهرباني ، نشرة الاب انستاس ماري الكرملي بغداد سنة ١٩٣٦ .

القرآن الكريم ، اخذ يتردد الى علماء الموصل ، فيأخذ عنهم ، والموصل ـ اذ ذاك ـ من المدن التي تُشدّ الرحال الى مدارسها ومعاهدها المختلفة . كما كان يقصد مجالس الشعراء والأدباء ، ويستمع الى ما ينشد فيها من أشعار ، وما يدور فيها من مناظرات ومساجلات أدبية . فحفظ الشيء الكثير منها .

وكانت دارهم مجمع أهل الفضل والأدب ، وأهلها أقطاب هـذه الندوات ، يقصدهم الناس للأخذ عنهم والاستفادة منهم .

والسيد خليل سريع الحفظ ، مرهف الحس ، فكان يحفظ الصحيفة الواحدة اذا سمعها مرة أو مرتين ، فحفظ كثيراً من الأشعار والقصائد ، ويذكر عنه المرادي أنه كان في الحفظ آية باهرة ، وكان يحفظ من الشعر ما لو كتب لكان أسفاراً .

وبرع في النحو والصرف والعلوم العقلية ، وقصده الطلاب للأخذ عنه ، والاستفادة من علمه .

وصار ينظم الشعر في اللغات الثلاث : العربية والفارسية والتركية ، واجمع الذين ترجموا له : أنه بديع صوغ النثر والنظم ، رائق القريض ، وله قصائد كثيرة .

يمتاز شعره أنه : سلس الألفاظ ، واضح المعاني ، بسيط الاسلوب ، خالٍ من التكلف البغيض ، جميل القافية ، لا نجد فيه الألفاظ الوحشية التي كان يتمشدق بها اكثر شعراء عصره ، ولا المحسنات البديعية التي كان يتكلف لها شعراء ذلك العهد ـ ولو أدّى بهم الى ضياع المعنى .

وشعره يتدفق من نفس صافية ، فيّاضة بالفضائل والمكارم ، لم تشغلها الدنيا الفانية فترفعت عن المدح والثناء المتكلف ، وانما كان يقول الشعر لنفسه يعبر عما تكنه من فضائل ، وما في قلبه لأصدقائه واوفيائه من حب واخلاص ، فهو مرآة لنفسه الطاهرة المؤمنة . كثير الاقتباس من القرآن الكريم ، الذي حفظه ووعاه ورتله أجمل ترتيل .

ولشعره موسيقى ووقع في النفس ، لأنه صادر عن روح جيّاشة ، يهزها البيت الرائع ويحركها النغم الشجي ، وهو أحد قرّاء زمانه .

وقد وقفنا على قصائد ومقاطيع له ، اكثرها في المراسلات مع أهله واصدقائه ، وفي شكوى الزمان ، ومداعبات الخلان ، ونجد فيها الأمثال والحكم ، وكثرة الاقتباس من كتاب الله عز وجل .

ومن جميل قوله معاتباً أصدقاءه ، ومضمناً قوله تعالى « لا يكادون يفقهون حديثاً » .

لست أهوى سواكم اليوم حتى أطلب الموت في هواكم حثيثا
يا لقومي من معشر عنفوني « لا يكادون يفقهون حديثا »

وقوله مضمناً قوله تعالى « فذلكنّ الذي لُمتُنني فيه » :

ونسوةٍ لمنني في حب ذي كحل رشا يفوح شميم المسك من فيه
فقلت منهن للأبي فتن به : « فذلكن الذي لمتنني فيه »

وقوله محذراً من الفتنة ، معتمداً على الله الكريم الذي يرى كل شيء ، ومضمنا قوله تعالى « وكفى بربك هادياً ونصيرا » :

يا مبتلىٰ بذوى المظالم لا تهن واصبر فان الله كان بصيرا
واستغفرن الله يهدك عاجلاً « وكفى بربك هادياً ونصيراً »

وقوله مضمنا قوله تعالى « إن كيد الشيطان كان ضعيفا » :

قال لي آحذر رقيبنا فقصارى سؤله ان يكيدنا ويحيفا
قلت دعني فلست منه أبالي « إن كيد الشيطان كان ضعيفا »

وكانت بينه وبين صديقه خليل خُدَادَه مراسلات ومداعبات ، فبلغ خليل خُداده ان صديقه خليل البصير عتب عليه لتأخر أخباره ، فكتب اليه خليل خداده :

لا تحسبوا ان البعاد مكدّر صفو الخليل عن الخليل وانسه

لـكن حوادث في الزمان تراكمت فالمرء فيها قد سَهَا عن نفسه

فاجابه خليل البصير بقوله :

إنا نسلم أنه يسهو الفتى في حادثات زماننا عن نفسه
لـكن نقول بدفع شر عدونا ذا اليوم خير عندنا من أمسه

وكتب اليه خليل خداده يداعبه ويعاتبه :

يا حافظاً دفع الظنون وناصباً علم اليقين ، ومن يكون مشككا
من بعد ما قنط الورى من رحمته انظر الى آثار رحمـــة ربّـكا

فاجابه البصير بقوله :

يا من يذكر خله كرم الـكريم ونعمته
هـــذا قديماً دأبه يعفو وينشر رحمته

وشعره لا يخلو من تشطير وتخميس ـ ومن ذلك قوله مشطراً بيتي ابن نباتة :

«يا مشتكي الهم دعه وانتظر فرجاً» ممّن يفرج كربات المساكين
وأصبر على محن الايام ذا جلدٍ « ودار وقتك من حين الى حين »
« ولا تعاند اذا اصبحت في كدر » عن النوائب واستقبله باللين
هيهات هيهات أن تصفو بلا كدرٍ « فانما أنت من ماءٍ ومن طين »

وله مخمّساً بيتي ابن الفارض :

نأي الغزال الذي في القلب موضعه يا ليت شعري أي الأرض مرتعه
ناديته بانكساري إذ أودعه « يا راحلا وجميل الصبر يتبعه »

هل من سبيل الى لقياك يتفق

نار المحبة في الأحشاء حامية والعين كالنهر طول الدهر هامية
يا من به رتبتي في العشق سامية « ما انصفتك جفوني وهي دامية »

« ولا وفي لك قلبي وهو يحترق »

كان حسن التلاوة ، سليم الخيال ، أجيز في القراءات السبعة ، وتفوق بها حتى لقبه محمد امين العمري بانه شاطبي زمانه .

وله اطلاع حسن في الموسيقى ، واذن مرهفة في سماع الاصوات الجميلة ، والانغام الشجية ، فكان يحضر حلقات الذكر ، ومجالس الطرب ويشارك فيها ، وله مدائح نبوية ، سلسة النظم ، جميلة الألفاظ ، لم يزل بعضها يتلى في حفلات الموالد ، وحلقات الذكر ، منها قوله :

يا قرة العيون ارحم نحيبي
من ثغرك المصون أطفي لهيبي
قلبي متى يكون وصالك نصيبي
لعلي باللقا ابري سقامي
الحب قد وفا والشوق داني
والطرف قد حوى زين المعاني
بالمصطفى البشير اختم نظامي
من شرف البقيع خير الانام
وصحبه والآل ذوي الاختام
يرجو سيد خليل حسن الختام

كان حاضر البديهة ، سريع الجواب ، ناقداً بصيراً بما يتلى أمامه « مهذب الاخلاق ، ميمون الطلعة ، مأمون العشرة » مترفعاً في اقواله وافعاله ، فخوراً بأهله ونفسه .

ومن لطائفه : انه كان حاضراً في مجلس بعض الوزراء ، فأخبره بعض الحاضرين : ان القاضي فلان ممتحن بزوجته ، وبالأمس اقتتلا فآذته . فقال البصير على الفور « ياليتها كانت القاضية » .

وذكروا عنه أنه كان يفرق الدراهم المزيفة عن غيرها بمجرد لمسها ، وانه كان مولعاً بتطيير الحمام ، وكان يصطاد الحمام الغريب الذي يدخل بين حمامه ، فسألوه من أين تعرف الحمامة الغريبة من بين الحمام ؟ قال : أعرفها من خفقان اجنحتها . كما أني اذا رميت الحبّ للحمام ، فان الحمام الغريب يتقدم اليه بتخوّف وحـــذر ، فأصغي اليه وبعد أن أتأكد موضعه ، أرمي اليه شبكة واصطاده بها .

وله ثلاث ارجوزات ، يصف بها حصار نادر شاه لمدينة الموصل وارتـداده عنها يجر اذيال الفشل .

١ — أما أحـــداها : فقد ذكر المحبي ثمانية أبيات منها ، ولم نعثر على الأرجوزة كلها . وما ذكره المحبي هو :

كفى الله أهل الموصل الشر اذ أتى ... عدوٌ لهم من جانب الشرق ناهض
أجل ملوك العجم نادر اسمه ... ظلوم غشوم للمواثيق ناقض
سبى نسوة السكان في البيد والقرى ... بظلم ، وكل في المهالك خائض
وساق أناعيم الرساتيق كلها ... فما في الصباح اليوم بكر وفارض
فحاصرنا ستين يوماً مهيجاً ... حروباً ، وفي الجمعات ماتت فرائض
فحاربه الدستور والي ديارنا ... حسين بعون الله ، وهو يناهض
فألقيَ رعبٌ في قلوب جنوده ... فباتوا وكل نحو مثواه راكض
فلما ازال الله عنا شعوبهم ... بتوفيقه أرّخت : زال الروافض

٢ — الارجوزة الثانية نظمها باللغة التركية ، ورفعها الى الحاج حسـين باشا الجليلي ـ والي الموصل ـ ولم نقف على ذكر لها .

٣ — والارجوزة الثالثة : وهي تتألف من ٦٩ بيتاً أرسلها من الموصل الى السيد عبد الله الفخري في بغداد ـ يصف بها هذا الحادث ، وهي التي سننشرها .

ارجوزة السيد خليل البصير

الحمد لله السلام المؤمن ... الملك المقدّر المهيمن
وهو الذي ايدنا بنصره ... على العدو ، منقذاً من حصره
ثم الصلاة والسلام الدائم ... على الذي حلّت له الغنائم
مؤيد الحقّ نبي الملحمة ... محمد ماحي ظلام المظلمة
وهو الذي أباد جيش الكفر ... قلده المولى بسيف النصر
والآل والصحب الذين جاهدوا ... في الله ، والجمال منه شاهدوا
ما اسرج الدهم وجال الغر ... وجرد البيض ومال السمر

وبعد فالانمى من السلام ... يهدى الى ابن سيد الانام
الفاضل المحقق العلامة ... والكامل المدقق الفهّامة
اخي ومؤنسي بلا اشتياه ... السيد النحرير عبد الله [1]
لا زال خافضاً أولى الضلال ... بنصبه الوية الكمال
يا من هداه الله للفواضل ... وخصّه بالعلم والفضائل
وحفّه بالرشد والكياسة ... والفهم والفطنة والفراسة
كيف طباعكم ؟ وما حالاتكم ؟ ... باي شيءٍ ينقضي اوقاتكم ؟
اني الى وصالكم مشتاق ... انحلني الفراق والاشواق
بحيث لو قسّم عرض الشعرة ... عشرة اقسام حكته دقّتي
والله اسأل الملاقاة التي ... يشفي من الغرام كل علتي

---

(١) تقدم الكلام عنه في الحاشية رقم (١٦) .

فان تجيزوا الفحص عن حال البلد ... وما من الشدة والضيق وجد
فالحمد لله معين الضعفا ... مفرج الكرب ، معجل الشفا
على انكشاف الضر والآلام ... وصون عرضنا من الاعجام
اذ دخلوا القرى وافسدوها ... آذوا ، ومزقوا ، وشردوها
وانتهكوا الشبان والفتيانا ... واستأسروا النسوان والصبيانا
وغادروا الشيوخ والاطفالا ... وحمّلوا الاحمال والاثقالا

ثم توجهوا ليحصرونا ... ويستفزونا ويكسرونا
جاؤا « كأنهم جراد منتشر » [1] ... فحاصروا « في يوم نحس مستمر » [2]
أخبرنا مفتيهم [3] ان الفئهْ ... خمس وسبعون تليها مئهْ
وإنما تمييز ذي الأعداد ... الف بلا نقصٍ ولا ازدياد
دنوا فامطروا علينا ناراً ... لم يهجعوا ليلاً ولا نهاراً
واصبعا كل من الخلائق ... في أذنيه ، حذر الصواعق
فبان بيننا سماة القحط ... حتى حُرِمْنا شرب ماء الشط
وكلنا يرتقب القتا لا ... ممتثلاً بقوله تعالى
« يا أيها الذين آمنوا آصبروا ... وصابروا ورابطوا [4] » لتنصروا

سطى خميسهم علينا الجمعه ... في نصف شعبان بفرط المنعه

---

(١) سورة القمر : آية : ٧ .
(٢) سورة القمر : آية : ١٩ .
(٣) ملا باشي علي أكبر : تقدم الكلام عنه في الحاشية رقم (٤) .
(٤) سورة آل عمران : آية : ٢٠٠ .

فخادعونا خدعاً لم تكتم ... كحفر الغام ، ونصب السُلّم
فضرهم ما صنعوا من القسم ... إذ رده الله عليهم فقصم
وكل سُلّم رفيع نصبا ... جُرّ الى السور ومنهم سُلِبا
خفنا احتيالهم وسوء مكرهم ... فلم يحق مكرهُمُ إلا بهم
فقارب السور المبارزونا ... وانهم لنا لغائظون
لما رأونا حافظين السورا ... « ولّوا على أدبارهم نفورا » (١)
والجهد في كفاحهم بذلنا ... ما قتلوا معشار ما قتلنا
فأصبحوا في ذلك اليوم العسر ... «كأنهم اعجاز نخلٍ مُنْقَعِر » (٢)

لما أريقت منهُمُ حمرِ الدِما ... ببيضنا القوا الينا السَلَما
فأرسل الغادر سلطان العجم ... يحاول الصلح ويبتغي السَلَم
وكلما أوقدوا نار الحرب ... أطفأها الله بغيث الغيب
فصالح المولى أمير الموصل ... أعني حسيناً صاحب القدر العليّ
بالسن الرسل على أن يرسلا ... من خيله اليه عشراً كُمّلا (٣)

---

(١) سورة الاسراء : آية : ٤٥ .
(٢) سورة القمر : آية ٢٠ .
(٣) كان الوفد الذي خرج الى نادرشاه لمفاوضته مؤلفاً من قره مصطفى بك — محافظ الموصل — وعلي الغلامي مفتي الشافعية في الموصل ، وقاضي الموصل . فأكرمهم نادرشاه وأثنى على شجاعة أهل البلد ، ثم زاروا ملا باشي في خيمته ، فخرج لاستقبالهم ، ورحب بهم ، واثنى أيضاً على بسالة المواصلة . وذكر صاحب منهل الأولياء عن سبب تقديم الخيل الى نادرشاه ما يأتي : ان ملا باشي قال للوفد « قد سمع سلطاننا بان عند الوزيرين المشار اليهما يوجد خيل ممدوحة ، وكثيراً يؤمل ارسال كم حصان من حضراتهما الى حضرة الشاه بطريق الهدية . اما السفراء المرقومين ففهموا من كلامه ان مراده من طلب الخيل ، ان يفتخر على عساكره ، وان لا يصير له خجل بطلب المصالحة ، وثاني يوم رجع السفراء الى البلد ، وقدموا الكلام بين يدي الوزيرين وأرسل كل واحد منهما ثمانية من الخيل الممتازة » وأرسلت الخيل مع الحاج قاسم أغا الجليلي ابن عم الحاج حسين باشا الجليلي ، فأكرمه نادرشاه . وأرسل معه هدايا الى الحاج حسين باشا الجليلي ، وحسين باشا القازوقجي .

فجاد والينا بضعف ما طلب ومثله اتحف حاكم حلب
فكفا عنا أيدي الأعداء محافظا الحدباء والشهباء
بقوة الله وأنبيائه وأوليائه وأصفيائه

لكن تجلد الوزير الموصلي [٢] الباسلِ الشهم الشجيع المقبلِ
تبيانه اكثر من أن يذكرا لله دره حرياً أجسرا
إذ لم ترعه كثرة القبائل منهم تأسياً بقول القائل
« لا أقعد الجبنَ عن الهيجاء ولو توالت زمر الأعداء »
الحمد لله الذي عززنا به وقد أذهب عنا الحزَنا
قلت له في هذه القضيهْ قصيدةً جيدةً تركيَّهْ [١]
وفصل الوقعة بالوجه الحسنْ ابن أخي المرحوم داعيكم حسنْ [٣]
أحاط بالخطوب علماً وكتبْ أتحفها الى الوزير المنتخب
فاستحسن الصدر محسناتها وما قد استشهد من أبياتها
لأنها فائقة المباني رائقة الألفاظ والمعاني

أما الشقي الخارجيُّ نادرْ المعتدي الباغي الظلوم الغادر
فكان يبدي الود والمَخادنهْ بعد انعقاد الصلح والمهادنهْ

---

(١) هو الحاج حسين باشا الجليلي وقد تقدم الكلام عنه .

(٢) لم نقف على ذكر لهذه القصيدة التركية .

(٣) ترجم له صاحب منهل الاولياء : انه أخذ عن علماء الموصل ، ورحل الى القسطنطينية ، واقتبس علوماً شتى ، وولي منصب الانشاء بعد ابن عمه عبد الله بن فخر الدين ، وله شعر حسن توفي سنة ١٢٠٢ هـ انظر (تاريخ الموصل : ٢ : ٢١٩ — ٢٢٠) وقد نقل الترجمة عن المنهل مع بعض التصرف .

معاهداً شخصاً اليه أرسلا ... من صوب والينا على أن يرحلا
ونحن طائفون عاكفونا ... في السور حاضرونا حاذرونا
إذ لم نكن نأمن بالمعاهدهْ ... بطشته مخافة المعاودهْ
أقام في ديارنا أياماً ... ثم نوى النهضة والقياما
ففر مع عسكره المشؤوم ... فأصبح النادر كالمعدوم
وخاب الأعجمون أجمعونا ... فانطلقوا وهم يسارعونا
صالوا فصالحوا « فولوا الدُّبُر » ... « وكل شيء فعلوه في الدُبر » (١)

هذا ولله جزيل الشكر ... على النجاة واندفاع الشر
ثم من الصلاة ازكيها على ... جد الذين حوصروا في كربلا (٢)
محمد وآله الدعاةِ ... إلى الهدى وصحبه الغزاةِ
ما اشتدت الفتنة والمخاصمهْ ... وامتدت الهدنة والمسالمهْ

سعيد الديوه جي

---

(١) سورة القمر : ٥٢ .

(٢) هو الامام الحسين بن الامام علي بن أبي طالب — رضي الله عنهما — .